ولاحظ سيد الصغير ان الفروق هنا زالت ، فلا فرق بين السجان والمسجون ، بل احيانا المسجون هو الاقوى ، وهو الاعز ، والسجان هو الضعيف وهو الاذل ، ولاحظ سيد أيضا ، انه فى موعد وجبة الغداء يجتمع المسجونون والسجناء ليس كل السجناء بالطبع ولكن بعضهم ، يجتمعون فى زنزانة عم عبده ، يأكلون ويشربون الشاى ويدخنون السجاير ويروون النكات !

ولاحظ سيد الصغير أيضا ، ان السجان اذا خرج من زنزانة عبده ، خلع الحزام ورسم على وجهه تكشيرة رهيبة ، وضرب بقية السجناء الذين يتلطعون بجوار الجدران .

وارتاح سيد جدا للجو الجديد ، وللمأوى الجديد ، وادرك ان السجن ليس سيئا للغاية كما سمع من قبل ، وكما توهم هو نفسه خلال ايام العذاب التى عاشها فى زنزانة الايراد ، وبدأ سيد يشعر بالاستقرار ، واخذ يعد الايام التى انصرمت ، والايام التى بقيت ، وصار له اصدقاء فى السجن ، شبان صغار فى مثل عمره ، فقد لاحظ سيد ان السجن يكتظ بهذا النوع من الصبية ، ولكنهم ليسوا قتله ، انهم فقط لصوص ومجرمون صغار ، ولكنهم ظرفاء واصحاب نكتة حاضرة ، وتجربتهم فى السجن تجعلهم اكثر جرأة من سيد على مواجهة المشاكل ، والخروج من المأزق . . واللف حول مواد اللائحة التى تمسك بخناق المسجونين .

ومرت شهور وسيد فى السجن ينتظر من يزوره ولكن دون جدوى ، وجن جنون سيد ، فلا يمكن ان تتخلف امه عن زيارته الا لأمر رهيب ، وراحت الظنون تتقاذف سيد الصغير ، هل ماتت ؟ هل مرضت مرضا شديدا أقعدها عن القيام وعن السير وعن المجيء اليه ؟

انها لم تكن تحب فى الحياة اكثر من سيد ، وهى التى أطلقت عليه اسم الحليوه ، فما الذى اخرها عن زيارة سيد ، وهو الذى قتل عليوه حين مد يده ليتحسس جسدها المقدس النبيل !

وفضفض سيد بأحزانه وظنونه لعم عبده الابيض . واستمع عم عبده فى هدوء وابتسم فى هدوء ، وهز رأسه ونطق بالحكمة كلها .

ـ يابنى المسجون رحته وحشة ، ماحدش عاوز يشوفه .

وقال سيد الحليوة :

ـ بس أنا يا عم عبده ، مش مسجون فى حاجة عار من غير مؤاخذة ، وانا